Journal of Engineering Sciences, Assiut University, Faculty of Engineering, Vol. 42, No. 2, March 2014, pp. 510– 526

التصميم العمراني ودوره في بناء هوية المكان
" نحو منهجية لعملية التصميم العمراني تدعم صنع ومستقبل هوية المكان"

أحمد أبوالسعود حسن

مدرس مساعد عمارة - كلية الهندسة - جامعة سوهاج ،
وطالب دكتوراه بقسم التخطيط العمراني- كلية الهندسة- جامعة الأزهر- القاهرة.

Received 28 December 2013; revised 5 February 2014 accepted 15 February 2014

الملخص

تحتل قضية الهوية الغائبة في عمراننا المعاصر في الآونة الأخيرة أهميةً كبيرة في مجالات العمارة والعمران بصفةٍ خاصة، حيث افتقار النتاج العمراني للمدن المعاصرة والجديدة إلى الخصائص والسمات التي تكسبهُ صفة الهويةٍ العمرانية المميزة أو هوية المكان، تلك التي تنبع من الخصوصية البيئية الطبيعية والمبنية والثقافية للمجتمع المحلي، فكون العمران انعكاساً لخصائص المجتمع المحلي هو دالة الارتباط والانتماء بين المجتمع والعمران وبالتالي يكون المكان وتميزه ، وإلا حدث الانفصال والتغريب بين المجتمع والعمران وكان اللامكان.

وهو ما استدعى العمل على هذه الورقة البحثية، حيث البحث عن منهج تصميمي متكامل في مجال التصميم العمراني يدعم إكساب النتاج العمراني صفة الهوية المميزة، حيث أن التصميم العمراني هو المسئول الأول والأخير عن عملية " صنع المكان"، فهو المسئول عن تشكيل وصياغة النسيج العمراني للمدينة، حيث تشكيل وصياغة العلاقة بين الكتلة والفراغ وما ينتج عنها من فراغاتٍ عامةٍ ومفتوحة (المجال العام)، وبالتالي فهو المسئول عن مدى تحقيق هذه الفراغات لجودة المجال العام وتلبية احتياجات الناس على تنوعها وتقديم خبرات بصرية ثرية، بما يحقق معنى المكانية بالفراغات العمرانية ويدعم انتمائها لسياقها المحلي، وبالتالي يكون ارتباط الناس بها وشعورهم بانتمائهم لها.

ويتناول البحث بالدراسة والتحليل مفهوم المكان (الركيزة الأساسية للهوية العمرانية)، وماهية الهوية العمرانية وعناصرها الأساسية المتمثلة في(الإعدادات المادية، والأنشطة، والمعاني والرموز الثقافية – ونتاجها روح المكان)، وماهية التصميم العمراني وأبعاد عملية التصميم العمراني (المتمثلة في البعد التشكيلي والوظيفي والحسي والبصري والاجتماعي والزمني)، ودوره في بناء هوية المكان، بهدف الوصول إلى منهج متكامل في التصميم العمراني يضمن إخراج منتجاً عمرانياً يتسم بالانتماء إلى البيئة المنشأ بها ويحترم خصائص المجتمع المكانية وتوجهاته الفكرية والثقافية في إطار دعم مستقبل هوية المكان "الهوية العمرانية".

وقد توصل البحث إلى صياغة منهج عام وشامل لعملية التصميم العمراني ومنتجها يرتكز على ثنائية المُدخلات من المادي واللامادي، حيث الخصائص المادية للبيئة الطبيعية والمبنية، والخصائص اللامادية للبيئة الاجتماعية والثقافية، كما توصل البحث إلى صياغة مجموعة من الركائز الفلسفية والنظرية التي تؤسس للمنهج المقترح، وصياغة مجموعة من الاعتبارات والمعايير المحققة للبعد التشكيلي في ضوء اعتبار الأبعاد الأخرى لعملية التصميم العمراني، بما يؤسس لبناء أماكن تحقق الكفاءة الوظيفية والجمال والهوية المميزة عبر عملية تصميم عمراني واعية.

الكلمات الدالة: التصميم العمراني Urban Design، هوية المكان Place Identity، صنع المكان Place Making ، اللامكان Placelessness.

1. المقدمة

تحتل قضية الهوية الغائبة في عمراننا المعاصر في الآونة الأخيرة أهميةً كبيرة في مجالات العمارة والعمران بصفةٍ خاصة ، حيث يفتقر النتاج العمراني للمدن المعاصرة إلى الخصائص والسمات التي تكسبهُ صفة الهوية العمرانية المميزة أو هوية المكان التي تنبع من الخصوصية البيئية الطبيعية والمبنية والثقافية للمجتمع المحلي ، فكون العمران انعكاساً لخصائص المجتمع المحلي هو دالة الارتباط والانتماء بين المجتمع والعمران وبالتالي يكون المكان ، وإلا حدث الانفصال والتغريب بين المجتمع والعمران وكان اللامكان ، وهو ما استدعى العمل على هذه الورقة البحثية ، حيث البحث عن منهج تصميمي متكامل في مجال التصميم العمراني يدعم إكساب النتاج العمراني صفة الهوية المميزة ، حيث أن التصميم العمراني هو المسئول الأول والأخير عن عملية صنع المكان وفقاً لقول " Peter Buchanan " : من أن " التصميم العمراني هو أساساً

* Corresponding author.
Email address: Soud_scape@yahoo.com

لصنع المكان ، في حين أن الأماكن هي ليست مجرد فراغ معين ولكن هي جميع الأنشطة والأحداث التي تجعلها ممكنة [7].

1.1. أهداف البحث

يهدف البحث إلى الوقوف على ماهية الهوية العمرانية وعناصرها الأساسية ، وماهية التصميم العمراني وأبعاد عملية التصميم العمراني ودوره في بناء هوية المكان للوصول إلى منهج متكامل في التصميم العمراني يضمن إخراج منتجاً عمرانياً يتسم بالانتماء إلى البيئة المنشأ بها ويحترم خصائص المجتمع المكانية وتوجهاته الفكرية والثقافية في إطار دعم مستقبل هوية المكان "الهوية العمرانية".

2.1. منهجية البحث

ينتهج البحث أسلوب الدراسة النظرية التحليلية Theoretical and Analytical Approach كمدخل للتعرف على مفهوم هوية المكان وعناصرها الأساسية ، والتعرف على مفهوم التصميم العمراني وأهميته للتوصل إلى منهج متكامل في عملية التصميم العمراني يدعم صنع وبناء هوية المكان.

2. هوية المكان (المفاهيم الأساسية والمكونات)

1.2. مفهوم المكان

يرجع البحث في مفهوم المكان إلى عصورٍ بعيدة حيث الكتابات الفلسفية القديمة لسقراط الذي يرى أن البيئة المادية تكتسب صفة المكان " عندما تنطوي علاقة الناس بالبيئة المادية على الشعور بالانتماء "، في إشارة إلى أن الفراغات العامة أو النتاج البنائي يكتسب صفة المكان عندما يحقق احتياجاتهم ويكون انعكاسا لخصائصهم المميزة ، وبالتالي يكون ارتباطهم بهذا المكان وانتمائهم له [25].

ويأخذ مجال "علم النفس البيئي Environmental Psychology " بعين الاعتبار تصورات مختلفة للمكان من منطلق " الحتمية المادية Physical Determinism " - حيث أن البيئة وخصائصها لديها تأثير مباشر على السلوك ، لرؤية العلاقة بين الناس والبيئة ديناميكية وتفاعلية، حيث أن التصور الديناميكي والتفاعلي للبيئة يشمل المعاني الاجتماعية والثقافية والنفسية للمكان، وفي ذات الإطار استخدم " Canter "، " المكان Place " كمصطلح وأنتج مصطلحه " علم نفس المكان Psychology Of Place "، الذي يرى فيه أن المكان هو " منتج من الصفات المادية والمفاهيم البشرية والأنشطة "، حيث يؤكد على الاعتماد المتبادل بين الناس والبيئة [15].

وهو ما يتضح جلياً في الفرق بين " المسكن Dwelling " و " المأوى Shelter "، حيث أن عملية السكن المرتبطة بالمسكن هي عملية نفسية تحدث لنا من خلال علاقتنا بالمكان الذي نقطن فيه، ومن خلال هذه العملية يكون بمقدورنا توجيه أنفسنا من الداخل والتعرف على أنفسنا من خلال البيئة المحيطة، وذلك بخلاف المأوى الذي تقتصر علاقته بالإنسان على الاحتواء الفيزيقي للجسد (مكان للنوم، والراحة، والوقاية من ظروف البيئة المحيطة) [2].

وبالتالي يمكن القول بأن المكان هو: مركب من مكونات مادية تتمثل في الإعدادات المادية الطبيعية والمصنوعة، ومكونات لامادية تتمثل في الأنشطة والقيم والمعاني الرمزية المرتبطة بمجتمع المكان، في إطار عمليةٍ تفاعلية ديناميكية مع مستخدميه، وهو ما ينمي شعوراً بالانتماء لهذا المكان لديهم، وبالتالي الشعور بهويته.

2.2. مفهوم هوية المكان

يعرف " قاموس التراث الأمريكي American Heritage Dictionary " الهوية بأنها " مجموعة من الخصائص التي تُعرف الشيء ذاته وتميزه عن غيره" [24].

ويذكر " كيفن لينش Kevin Lynch " عن مفهوم الهوية العمرانية (هوية المكان): أن الإحساس في أبسط صوره هو ' هوية Identity ' في المعني الضيق للمصطلح الأكثر شيوعاً ' الإحساس بالمكان A sense of place '، " فهوية المكان هي مدى قدرة الشخص على التعرف على مكان ما نتيجة تفرده عن غيره من الأماكن الأخرى بصفاتٍ وخصائص مميزة" [18].

ويري " Ian Nairn " أن هناك العديد من الهويات للمكان مثلما هناك العديد من الناس، فالهوية هي في تجربة المشاهد بقدر ما هي في مظهر المدينة، ولكن في حين أن كل فرد قد يعين هوية لأماكن معينة بوعي ذاتي أو من خلال اللاوعي، فإن هذه الهويات مع ذلك يتم دمجها بشكل ذاتي مشترك لتشكيل هوية مشتركة، وربما هذا يحدث لأن لدينا خبرة أكثر أو أقل لنفس الكائنات والأنشطة، ولأننا قمنا بدراستها للبحث عن صفات معينة ومؤكدة من قبل الجماعات الثقافية لدينا [9].

ويؤكد " Christopher Alexander " على أهمية الأحداث والأنشطة في الشعور بهوية المكان وفق تعبيره " إن ما يجعلنا نحس بهوية وروح المكان وبتجربتنا معه لا ينبع فقط من البيئة المادية المشكلة له وإنما ينبع أيضا من نسق وأنماط الأنشطة والأحداث التي نختبرها أو نمارسها في المكان [5].

ويضع " جميل أكبر " تمييزاً بين الهوية العمرانية والمعمارية فيقول أن الهوية العمرانية " هي كل ما يعطي البيئة الطابع المميز لها، من مباني وشوراع وفراغات عامة وخاصة ومفتوحة وعناصر تنسيق هذه الفراغات الطبيعي منها والمصنوع، فالمبنى هو عنصر واحد من عناصر تحديد الهوية العمرانية، فالهوية المعمارية تسهم في تحديد معالم الهوية العمرانية ولكنها لا توجدها [1].

3.2. مكونات هوية المكان

تقدم الأماكن من حيث مضمونها المحدد لها تنوع ملحوظ في واحد من العناصر المشتركة التي يصعب فصلها، فتجربتنا للأماكن مباشرة وكاملة وغالباً ما تكون غير واعية ذاتياً، ولو أن هناك أجزاء مكونة لها، فإنها تختبر بشكل كامل متكامل في إطار التركيب الشامل لها ، ولكن يمكن للشخص تمييز المكونات التي تشكل المادة الأساسية " هوية المكان Place Identity "، تماماً مثل المكونات الأساسية للوحة فنية التي تتمثل في (القماش، الألوان، الرموز) ، فكل عنصر من هذه العناصر لا يمكن اختزاله في الآخر ولكن لا يمكن فصلها أيضاً، فهي تكوين متكامل لا يمكن تفكيكه[9].

ومن خلال مقالات " Albert Camus " في شمال أفريقيا التي تستخدم لشرح مكونات هوية المكان، يظهر ثلاثة مكونات أساسية لهوية المكان تتمثل في : الإعدادات المادية الثابتة the static physical setting ، والأنشطة Activities، والمعاني Meanings، ويمكن تقدير المكون الأول والثاني بسهولة بعكس المكون الثالث " المعنى " فهو أصعب بكثير من حيث الفهم والاستيعاب، فقد تكون معاني الأماكن متأصلة في الإعدادات المادية وفي الأنشطة ولكن هي ليست خاصية منهم وإنما هي خاصية المقاصد والخبرات البشرية، فالمعاني يمكن أن تتغير وأن يتم نقلها من مجموعة من الأشياء لأخرى، ومن صفاتها التعقيد، الغموض، الوضوح .....، ويمكن لهذه العناصر الأساسية الثلاثة أن تنقسم داخلياً، وبالتالي يمكن أن يفهم المكون المادي على أنه يضم الأرض والبحر والسماء والبيئة المبنية، كما يمكن تمييز الأنشطة والوظائف بالمثل من حيث كونها خلاقة أو مدمرة أو سلبية، فردية أو جماعية، والوزن النسبي لكلٍ من هذه المكونات الفرعية يمكن أن يكون له أهمية كبيرة في تحديد هوية خاصة، وبالتالي فنحن نعترف بمدن الفحم والتعدين أو القرى الجبلية Coal-Mining Towns or Mountain Villages، حيث تكثيف الهوية في ميزة واحدة تملك جوهر المكان، وهو ما يعتمد على الظروف المحلية ومقاصد المصمم[9].

والمهم هنا هو الطريقة التي تكون من خلالها الإعدادات المادية والأنشطة والمعاني مترابطة، مثل المكونات المادية والحيوية والذهنية للسلوك التي يعرفها " Merleau-Pnty " : " أنه من الممكن أنهم يشكلون سلسلة من الجدليات التي تشكل هيكل واحد مشترك "، فالسياق المادي والأنشطة تجتمع لتوفر للإنسان المواقع " الدائرة الوظيفية Functional Circle "، ويجتمع الإعداد المادي والمعاني في التجربة المباشرة للمناظر الطبيعية أو مناظر المدن، وتجتمع الأنشطة والمعاني في كثير من الأعمال الاجتماعية والتاريخ المشترك التي لديها إشارة ضئيلة إلى الإعداد المادي، وكل هذه الجدليات مترابطة في المكان، وانصهارها هو الذي يشكل هوية المكان، فالمظهر المادي والأنشطة والمعاني هي المواد الخام لهوية المكان والروابط الجدلية فيما بينهم هي العلاقات الهيكلية الأولية لهذه الهوية [9].

والمكون الرابع للهوية هو " روح أو عبقرية المكان Spirit Of Place or Genius Loci " وهو أقل مادية ولكنه يعمل على ربط هذه المكونات والجدليات واحتضانها ، كما أنه نتاج تآلف وانسجام المكونات

الثلاث، فهو السمة المميزة للهوية، وهو ينطوي على التضاريس والمظهر، الوظائف الاقتصادية والأنشطة الاجتماعية، وأهمية خاصة مستمدة من أحداث الماضي ومواقف الحاضر، ولكنها تختلف عن الجمع البسيط لكل هذا، فقد تستمر روح المكان رغم التغييرات العميقة في المكونات الأساسية للهوية، فروح المكان التي تبقي عبر التغييرات هي غامضة ويصعب تحليلها من الناحية المفاهيمية، ولكن في الوقت ذاته هي واضحة بكل بساطة في تجربتنا للأماكن لأنها تشكل تميزها وتفردها [9]. شكل (1)

شكل (1): " منطقة القلعة " روح المكان باقية رغم التغيرات التي طرأت على المكان عبر مسيرة الزمن. (تصوير الباحث)

وبناءً على ما سبق من طرح لمفهوم ومكونات هوية المكان " **الهوية العمرانية** " يمكن القول بأنها نتاج توليفة أو دمج مجموعة من الهويات الذاتية تلك التي تتمثل في هوية الأحداث والأنشطة، والهوية الذاتية للعناصر المادية الطبيعية والمصنوعة المكونة للمكان، وهوية الشخص والجماعة، والهوية الثقافية التي ينتمي إليها المكان ومستخدميه، كل هذه الهويات يتم دمجها ذاتياً في إطارٍ تفاعليٍ تبادلي لتشكيل وتكوين هوية المكان (الهوية العمرانية للنتاج البنائي)، تلك التي تميزه عن غيره من الأماكن".

3. التصميم العمراني (مفهومه ودوره وأبعاده)

1.3. مفهوم التصميم العمراني

تعد أحد أهم البدايات الحقيقية لبلورة مفهوم التصميم العمراني ما كشفت عنه وقائع المؤتمر الذي عُقد في " كلية الدراسات العليا بجامعة هارفارد Harvard's Graduate School " عام 1956م، بعنوان " Design Determined " لتجميع الأدلة والشواهد فيما يخص فرع من العلوم يسمى " التصميم العمراني Urban design "، الذي عبر عنه " خوسيه لويس سرت José Luis Sert ": بأنه جزء من تخطيط المدن يتعامل مع الشكل المادي للمدينة، كما أنه يمثل القاعدة المشتركة للعمل بين المعماري ومنسق المواقع ومخطط المدن، فهو المجال الأوسع من هذه التخصصات الثلاثة " [20].

ويعتبر مصطلح " التصميم العمراني Urban Design " الأكثر شيوعاً في أمريكا الشمالية منذ أواخر خمسينيات القرن العشرين (1950s)، حيث حل محل المصطلح الأضيق من حيث المضمون " Civic Design " المتمثل في " حركة تجميل المدينة The city beautiful movement "، حيث يأتي مصطلح التصميم العمراني " Urban Design " بمضمون هو الأكثر توسعاً وإحاطة، حيث أنه معنيُ بجودة المجال العام "The quality of public realm"، حيث اعتبار النواحي المادية الطبيعية والمصنوعة، والنواحي الاجتماعية والثقافية على حدٍ سواء لصنع وإدارة فراغات عامة يتحقق بها معنى المكانية " The meaning of spatial" ليستخدمها الناس ويستمتعوا بها [9]، وبإيجاز فإن التصميم العمراني يضع رؤية لمنطقةٍ ما ثم يحشد المهارات والموارد لتحقيق تلك الرؤية [12].

ومن وجهة نظر البحث : فالتصميم العمراني هو مجال واسع من علوم العمران معنيُ بتشكيل وإدارة البيئة العمرانية، مع التأكيد على ارتباط عملية التصميم العمراني ومنتجها بالمجتمع وخصائصه المادية واللامادية

وموروثه الثقافي والحضاري (الإنسان وخصائصه والبيئة وخصائصها كعوامل حاكمة في تمايز النتاج البنائي)، وهو ما ينعكس في صورة الإحساس بهوية المكان، من خلال عملية " صنع المكان " المنوط بها التصميم العمراني والتي تعتبر هدفه الأساسي.

2.3. دور التصميم العمراني

وأما عن دور وأهمية التصميم العمراني في صياغة البيئة المبنية وإكسابها هويتها المميزة، يرى " Michael Hough " أن الهويات المحلية والإقليمية لم تعد تحدث بشكل تلقائي أو دارج، وبالتالي أصبحت مسئولية المصمم العمراني والمعماري من أجل إكساب النطاق العمراني هوية عمرانية مميزة وفق تعبيره: " أن مسألة الطابع الإقليمي أصبحت مسألة اختيار وبالتالي مسألة تصميم بدلا من كونها ضرورة "، فالناس من شتى مناحي الحياة لديهم اهتمام بمسألة أو قضية الهوية بوجهٍ خاص من أجل تعزيز فهم واحد " ماذا يجب أن يعنيه مصطلح " هوية المكان Place Identity " ؟ **(27)**.

وتؤكد " Juliana O'Rourke " على أن العديد من المدن الحديثة خسرت الهوية والجودة العمرانية التي كانت تملكها مدن الماضي، ولذلك يجب إعادة بناء هوية المنطقة أو الإقليم، ويمكن للتصميم العمراني القيام بهذه المهمة من خلال تصميم وتهيئة البيئة العمرانية بما يجسد القيم المحلية والثقافة والتقاليد وسبل المعيشة والمناخ والمحيط الطبيعي، فالمدينة أو الإقليم الذي يملك هوية واضحة وقوية وصورة ذهنية متماسكة من الممكن أن يكون نقطة جذب هامة ومقصداً للسياحة والاستثمار والصناعة والتجارة **(21)**.

ويؤكد " Prinz " على أن التصميم العمراني معنيٌ ببناء الإحساس بالهوية لدي الناس الذين يعيشون ويعملون في المكان، من أجل مشاركة أكثر فاعلية لهؤلاء الناس في رعاية النسيج العمراني وطابعه، وهو ما يملي على المصمم العمراني ضرورة فهمه الكامل لطابع وروح المكان، وبنيته المادية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، من أجل صيغةٍ تكاملية بين الجديد وما هو قائم، أو لتغيير ما هو قائم لتلبية وظائف جديدة بدون إزالة معالمه المميزة من سياقه المتطور **(22)**.

ويشير " Derek Thomas " إلى أن هناك مجموعة من الاحتياجات الثقافية تعد بمثابة ثوابت عالمية لبني البشر هي التي تقود التصميم العمراني إلى تحقيق بيئات منتجة أو فاعلة، تلك التي تتعلق بالنوعية الجمالية للمكان الحضري كما يتوقعها أو يتصورها المستخدم، والدرجات المختلفة للقاء الاجتماعي وفرص تكوين العلاقات الاجتماعية التي تنتجها الخصائص المكانية، وخواص البيئة العمرانية التي تدعم كلاً من الهوية الذاتية وهوية المجتمع، وهوية المكان المُعبَر عنها من خلال طابعه المتميز وعلاقته المنسجمة وارتباطه بسياقه المحلي، وصلاحية البيئة العمرانية كمكان للعيش والسكن والروابط الاجتماعية والعمل والرفاهية، وإتاحة حق اختيار الخصوصية خاصةً في المناطق ذات الكثافات العالية، والجوانب الصحية والأمنية وطريقة ترتيب المكونات المادية التي تلبي هذه الاحتياجات، وسُبل توليد فرص العمل واستجابة التشكيل العمراني لخلق أنشطة تجارية رسمية وغير رسمية، وفُرص الترفية الرسمية والتلقائية من أجل تحسين التجربة الحضرية، وإلى أي مدى يتم المزج بين البيئة المبنية والطبيعية بما يجعل البيئة المبنية أكثر نعومة ويسمح بالوصول إلى الفراغات المفتوحة وتحقيق الراحة والمتعة **(26)**.

ويجب الإشارة إلى أن هذه الثوابت هي للبشر عامةً ولكن يأتي تباين وتمايز المجتمعات العمرانية المحلية من خصوصية السياق الثقافي والاجتماعي والطبيعي الذي يعطي درجات متباينة لفهم هذه الاحتياجات أو الثوابت البشرية وكيفية تجسيدها في البيئة المبنية، وبالتالي فإن أهمية التصميم العمراني ودوره يكمن في تشكيل وصياغة البيئة العمرانية بما يوفر الاحتياجات البشرية الجسدية والنفسية المتمثلة في الآتي:

- توفير سبل الراحة الجسدية والحاجة النفسية للتنوع والمغايرة والسلامة.
- الحاجة العاطفية للهوية وخلق الشعور بالانتماء والحفاظ على الوحدة المكانية.
- الحاجة إلى إمكانية التصور و التوجيه الذاتي من حيث وضوح وإمكانية قراءة البيئة العمرانية.
- تشجيع الحراك والتواصل والتفاعل المجتمعي والمشاركة المجتمعية في صنع القرار.
- زيادة جاذبية البيئة المبنية وتمكين الخبرات الجمالية من الإحساس بمعني الجمال.

3.3. أبعاد عملية التصميم العمراني

عملية التصميم العمراني مثل أي عملية تصميمية تجمع ما بين الأسلوب المنطقي والإلهام Rational Method and Inspiration، وتنطوي عملية التصميم العمراني على التغيير المخطط في العالم الحقيقي Real World وتضع في اعتبارها استشراف المستقبل والتأثير المحتمل لهذا التغيير، وتبدأ عملية التصميم العمراني بتحليل الوضع الراهن أو القائم ومشكلة التصميم، وطرح أفكار لنرى ما إذا كانت مناسبة لمعالجة مشكلة التصميم أم لا، فهي عملية دورية ومفتوحة النهاية Cyclic and Open Ended Process، حيث أن هناك العديد من المعايير للتصميم الناجح أو المثالي وقد تتعارض بعض هذه المعايير بحيث يكون الحل المثالي غير ممكن، ويؤخذ التصميم العمراني في سياق أنشطة التصميم الأخرى التي تعمل على مستويات مختلفة وأطر زمنية مختلفة [23]. شكل (2)

ويمكن تصنيف أبعاد التصميم العمراني إلى ستة أبعاد وهي البعد التشكيلي، والبعد الوظيفي، والبعد الجمالي، والبعد الحسي، والبعد الاجتماعي، والبعد الزمني، وهي كالتالي:

1.3.3. البعد التشكيلي

" علم تشكيل العمران Urban Morphology " هو دراسة شكل وتشكيل المستقرات البشرية، وهو ما يساعد المصممين العمرانيين في فهم وإدراك الأنماط المحلية للتنمية وعمليات التغير.

وينطوي هذا البعد على الاهتمام بعملية التشكيل العمراني بمستوياتها المختلفة، حيث التأكيد على ضرورة تحقق عملية التشكيل العمراني الاندماج والتكامل مع المناطق المحيطة وأن تحقق الكفاءة الوظيفية لكي تعمل العناصر المنفردة (الشوارع ، المباني ، الفراغات المفتوحة ...) كجزء من كُل فعال، وأن يحقق الانسجام والتجانس البيئي من خلال خلق أشكال تنمية تحقق كفاءة الطاقة والحساسية البيئية، وأن يحقق الإحساس بالمكان من خلال العلاقة الإيجابية بالخصائص الطبوغرافية والطبيعية للموقع مثل الفراغات المفتوحة المائية والخضراء التي تعزز الإحساس بهوية المكان [8]،[13]. شكل (3)

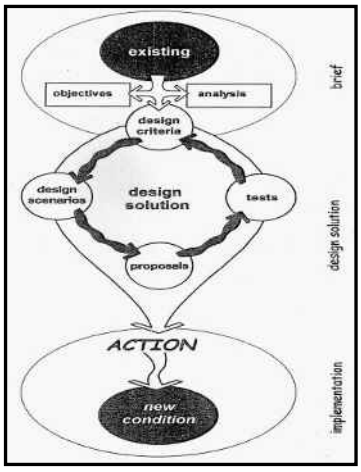

" مراحل عملية التصميم

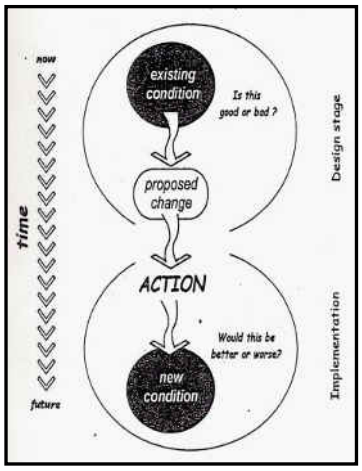

الإطار العام لعملية التصميم " عملية مفتوحة النهاية "

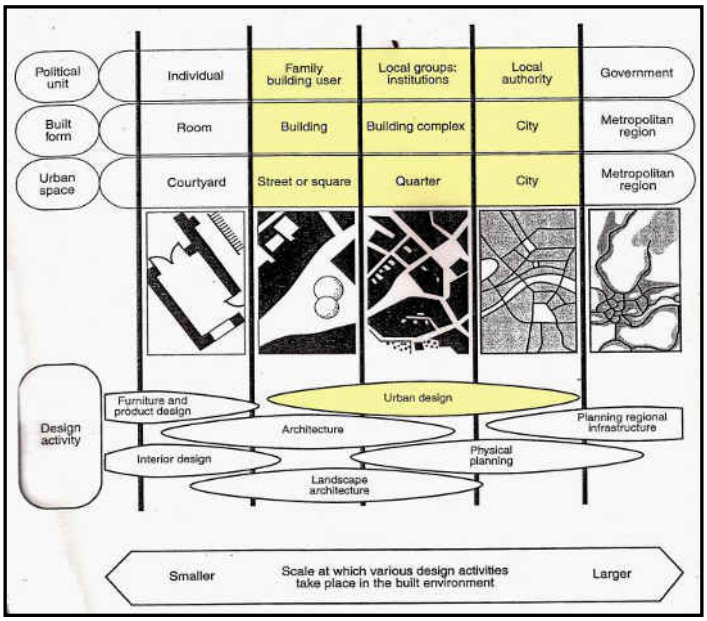

شكل (2): " النطاقات التي تجرى فيها أنشطة التصميم المختلفة في البيئة المبنية ومن بينها نطاقات عمل التصميم العمراني". - المصدر: [23]

وتتناول عملية تشكيل النسيج العمراني التكوين المميز لشبكات الحركة (في إطار ثنائي الأبعاد) في المناطق العمرانية وتأثيره المباشر على ملامح النطاقات المحيطة، كما تتناول ملامح التنمية العمرانية للبلوكات الواقعة بين محاور شبكات الحركة والتطرق إلى ملامح التنمية العمرانية ثلاثية الأبعاد، ويحدد ملامح الكتل المبنية وارتفاعاتها ومدى اتصالها أو انفصالها، ويتعرض للملامح الناتجة من علاقات هذه الكتل بالفراغات الخارجية المحيطة بها والمحصورة بينها، حيث يشير مفهوم النسيج العمراني في هذه الحالة إلى كونه " العلاقة بين الكتل المبنية والفراغات البينية والمفتوحة" [3]. شكل (4)

وينطوي هذا البعد على العديد من الاعتبارات المتعلقة بكل مكون من مكونات النسيج العمراني وأهمها :

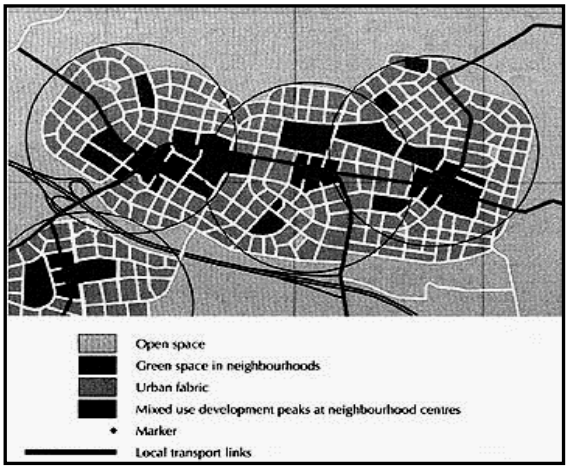

شكل(3): (المخطط الاستراتيجي المقترح لمنطقة " Easterhouse District – Glasgow City ")، يحقق الهيكل الحضري المدمج الاتصال والتكامل فيما بين الأجزاء المكونة وعلاقة إيجابية بالمحيط الطبيعي. - المصدر: [13]

شكل(4): صورة جوية توضح (النسيج العمراني المتضام لمنطقة " مسجد السلطان حسن" بالقاهرة التاريخية)، وتظهر فيه الفراغات الخارجية كأفنية داخلية محصورة بين المباني " العلاقة بين الكتلة والفراغ ". - المصدر: [4]

1.1.3.3. نمط الشبكة

تتنوع أنماط الشبكات في البيئات المبنية ويمكن تمييزها إلى نمط شبكي Grid Pattern، ونمط إشعاعي Radial Pattern، ونمط متفرع Branching Pattern، ونمط حلقي Looping Pattern، ولكل من هذه الأنماط سمات مميزة وعيوب وهو ما يحدد كيفية استخدامها والنطاق الذي تستخدم فيه، ولكن يجب أن يتم استخدام جميعها في تشكيل مناطق الهيكل الحضري الشامل وهو ما يضمن التوظيف الجيد والتنوع والثراء والتميز [14].

ويجب أن يحقق نمط الشبكة قدر جيد من " النفاذية Permeability"، وما يرتبط بها من " إمكانية الوصول Accessibility"، والقدرة على التوجيه الذاتي، والنفاذية نوعان بصرية وتعني رؤية الطرق عبر البيئة، ومادية وتعني القدرة على الحركة عبر البيئة، وتزداد النفاذية بنوعيها كلما كانت أحجام البلوكات صغيرة والعكس صحيح [8].

ويجب أن يوازن تشكيل الشبكة بين تحقيق النفاذية وتحقيق الانغلاق وتحقيق درجة مقبولة من الاحتواء للإبقاء على التقدم والاستمرارية، وفقاً لـ " كولن Cullen " الذي يميز بين كلٍ من " الاحتواء Enclosure " الذي يوفر عالم خاص تام، ينظر إلى الداخل، ثابت، مكتفي ذاتياً وهو يعني " الوصول Arrival " إلى مكان، و" الانغلاق Closure "، على النقيض، الذي ينطوي على تقسيم البيئة الحضرية إلى سلسلة مهضومة بصرياً ومتماسكة من الحلقات تبقي على الإحساس بالتقدم بشكل مؤثر بما يجعل السير على الأقدام أكثر إثارة، وهو يعني " السفر Travel " [11].

2.1.3.3. البلوك الحضري

وهو مساحة من الأرض تتحدد من خلال شبكة الشوارع وقد يتفاوت إلى حدٍ كبير من حيث الشكل والحجم وفقاً لترتيب وتنظيم الشوارع والتوجيه الأمثل أو الأفضل والطبوغرافيا.. ، ويجب أن يتم تنظيم شكل البناء داخل البلوكات لعمل تمييز واضح بين المجال العام والمجال الخاص ، فواجهات المباني النشطة المحددة للمجال العام Public Realm تعطيه الحياة ، ويحدث هذا التمييز عندما يكون المدخل الرئيسي من الواجهة الرئيسية على الشارع مع عدم ترك فجوات جانبية (الفراغ العام محدد بالكتل البنائية – نمط البلوك المحيطي Periphery Block Pattern، شكل (5))، ويجب أن يكون حجم البلوك Block Size صغيراً بما يلاءم سهولة الحركة والوصول، ويضمن الحفاظ على تنوع المباني والاستخدامات، ويكفل إمكانية التغيير والتكيف عبر مسيرة الزمن، ووفقاً للقاعدة المجربة فالبلوك بعرض من 80-90 م يحقق هذه الملائمة للتطبيق في مختلف المناطق الحضرية والظروف، ويتم تقليلها في مراكز المدن والبلدات إلى 60-80م، ويمكن استخدام البلوكات غير المنتظمة لملائمة الطبوغرافيا ولخلق نقاط مركزية من الفراغات الخضراء أو لخلق ميادين مع واجهات لا تحتاج لأن تكون متوازية [12].

3.1.3.3. قطع وواجهات المباني

يتم تقسيم قطع التنمية إلى قطع للبناء صغيرة بما يشجع على وجود تنوع من الأشكال والاستخدامات والحيازات، كما يسمح أيضاً بتنوع ثري من المباني، حيث توليد واجهات أكثر نشاطاً لمسارات ذات مقياس إنساني وحبيبية ناعمة مع إمكانية تحقيق كثافات أعلى، وإمكانية دمج القطع لنمو تدريجي مستقبلي، والتقليل من التكلفة والهدر في الأراضي والفراغات غير الموظفة، فالقطع الصغيرة ذات الشكل المنتظم وضيقة الواجهة بمساحة (5 م × 20م) تلاءم أغراض البناء وتوفر استخدام كفؤ للأراضي، والقطع بواجهة من (15-20 م) وعمق من(30-40 م) هي الأكثر ملائمة لأغراض التنمية المتنوعة في المناطق المركزية، ومزيج من قطع ذات أحجام متنوعة يوفر التنوع وإمكانية التغيير المستقبلي لملائمة التغيرات المستقبلية [12].

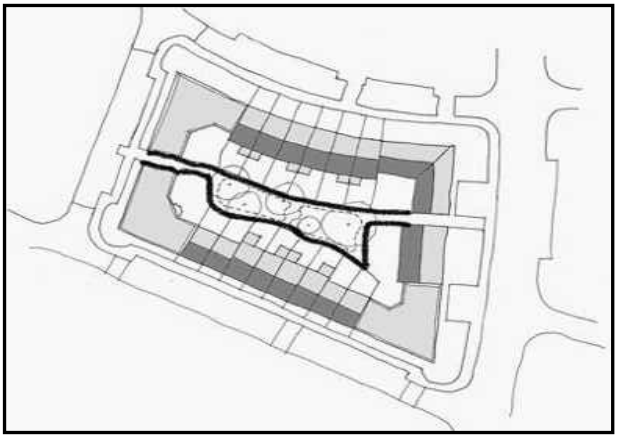

شكل (5): نموذج التشكيل البنائي للبلوك المحيطي Periphery blocks ، حيث تمييز المجال العام والخاص ، واستخدام خليط من مساحات واستخدامات المباني. – المصدر: [6]

4.1.3.3. الفراغات العامة والمفتوحة

كردة فعل على مناهج الحداثة وأنماط التنمية المعاصرة ظهر لدي التصميم العمراني حديثاً اهتماماً جديداً بالعلاقة بين المساحات المبنية والفراغ العمراني، والرغبة في العودة إلى الفراغ العمراني التقليدي The Return to Traditional Urban Space، حيث يتم تنظيم مكونات النسيج العمراني لتشكل المجال العام Public Realm، وهذا الكل هو أعظم من مجموع المباني الفردية وتطويراتها، وأعطت الأولوية للتركيز على الاحتياج الجمالي والوظيفي لخلق فراغ عمراني محدد وإيجابي، تحدده البلوكات العمرانية بحيث تمثل واجهاتها خلفيات تحدده كفراغ إيجابي وتدعم ثرائه وتميزه، مع تحقيق الموازنة بين الاتصال والاستمرارية بين الفراغات العامة (النفاذية) وتحقيق الانغلاق وقدر من الاحتواء [8].

ويجب تشكيل المجال العام كشبكة من عناصر الحركة والاتصال والفراغات العامة والمفتوحة في إطار من التماسك والاتصال لتلبية احتياجات الإنسان وأنشطته المتنوعة في الفراغات الخارجية [9].

وكخلاصة عامة للعناصر الأساسية للتشكيل العمراني وفقاً لما ذكره " Buchanan ": نجد أن العنصر الأكثر استدامة أو ثباتاً وحفاظاً على ذاكرة المدينة وإعراباً عن هويتها هو نمط الشارع (شبكة الفراغات العامة) والمباني ذات القيمة الرمزية والمعنوية والوظيفية التي تسهم في تكوين الصورة الذهنية لدى السكان المحليين، بالإضافة للمباني التي تملك القوة على الاستمرار من خلال التكيف مع الاستعمالات المتغيرة، وأما المباني الفردية والاستعمالات والأنشطة فهي تأتي وتذهب، وبالتالي فبالرغم من كون المدينة عرضة للتغير إلا أن بعض جوهرها يبقى [7].

2.3.3. البعد الوظيفي

يركز هذا البعد على الاعتبارات الوظيفية من أجل صنع أماكن تتصف بالجودة والنجاح ، والمكان الناجح هو الذي يدعم ويسهل ممارسة الأنشطة المنشأ لأجلها، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال التعرف على " كيفية عمل الأماكن how places work " ذلك العمل الذي يتوقف على استخدام الناس لهذه الأماكن (الاستخدام

الاجتماعي Social Usage)، ووفقاً لـ " Bacon " يجب أن يكون لدى المصمم العمراني معرفة تفصيلية بالأماكن والفراغات والبيئات العمرانية، تلك التي تأتي وتطور من خلال " التجربة الحقيقية للفراغ العمراني the true experience of urban space " [8].

وتقول "Carr et al." في إطار استخدام الفراغ العام وتصميمه: أن الفراغات العامة يجب أن توفر " الاستجابة Responsive " بمعنى أن يكون تصميمها وإدارتها لتلبية احتياجات مستخدميها، فضلاً عن كونها يجب أن تكون " ذات معنى Meaningful " بحيث تسمح للناس بتكوين علاقات قوية مع المكان، ومع عالمهم المحيط، وأن تكون " ديمقراطية Democratic " بحيث تحمي حقوق المستخدمين، وتسمح بدخول جميع الفئات وتوفر حرية التصرف المسئولة ، وقد حددت "Carr et al." خمس احتياجات للإنسان لتوفير الاستجابة والشعور بالرضا في الفراغات العامة تتمثل في [10]:

- الحاجة للإحساس بالراحة: وهو ينطوي على الإحساس بالراحة الجسدية التي تتطلب توفير الملائمة الوظيفية والمناخية، والراحة النفسية وهي تتعلق بضرورة اعتبار النواحي الاجتماعية وطابع وبيئة المكان.
- الحاجة للاسترخاء: حيث مراعاة توفير عناصر طبيعية بالفراغات العامة والحد من الضوضاء.
- الحاجة للارتباط غير الفعال: حيث تمكين المستخدمين من استشراف الفراغ ومراقبة الأنشطة مع عدم المشاركة.
- الحاجة للارتباط الفعال: حيث توفير فرص مشاركة المستخدمين في الأنشطة داخل الفراغ.
- الحاجة إلى الاكتشاف: وهو ما يتطلب التأكيد على التغير الفصلي عبر فصول السنة وتنوع الأنشطة والأحداث على مدار اليوم والشهر والعام.

وهناك مجموعة من الاعتبارات لخلق فراغ ناجح وظيفياً أو ما يطلق عليه الفراغ الاجتماعي Social Space، وهي:

- أن تكون الفراغات معرضة ومدمجة مع مسارات الحركة الحيوية لضمان أداء أفضل من الفراغات المعزولة.
- ضرورة فهم طبيعة أنظمة الحركة وبالتالي فهم طبيعة الأماكن التي يتم عمل الاتصال فيما بينها (16).
- اعتبار مركز الفراغ وشغله بعنصر مسيطر بصرياً يوفر الإحساس بالهوية وزيادة خاصية الاحتواء.
- اعتبار حافة الفراغ - حيث أن حياة الفراغ العام تتشكل طبيعياً حول حافته ، ويمكن تعزيز حافة الفراغ من خلال توفير أماكن رسمية أو غير رسمية للجلوس Formal or Informal places to sit، ويجب أن تكون الحافة ذات منسوب أعلى ومحمية من عوامل الطقس.
- يجب أن تصمم واجهات المباني لكي تصل إلى الفراغ وتقدم واجهة نشطة مطلة على الفراغ، بحيث توفر الثراء والجذب البصري، كما أن وجود الشرفات والنوافذ المضيئة ليلاً يُعلن عن وجود السكان وبالتالي يوفر الإحساس بالأمان في الفراغات العامة ليلاً (8).
- وفي إطار البُعد الوظيفي وعلاقته بالبُعد التشكيلي لابد من التأكيد على اعتبار الحركة ومنتجاتها الثانوية والكثافة المرتفعة نسبياً والاستخدامات المختلطة (خليط من استعمالات متجانسة) بما يدعم النشاط ويوفر التنوع والحيوية في الفراغات العامة، كما يهتم البعد الوظيفي بالاعتبارات البيئية والأقلمة المناخية والبنية التحتية للنطاق العمراني(8).

3.3.3. البعد الحسي

وفقاً لقاموس أكسفورد الإنجليزي Oxford Dictionary يعرف لفظ " حسي Perceptual " على أنه العملية التي يصبح من خلالها الأشياء والظواهر المادية مدركة أو محسوسة بواسطة الحواس البشرية، ويعد إدراك وتجربة " المكان Place " بعداً أساسياً في التصميم العمراني ، فمنذ أوائل الستينيات في مجال الإدراك البيئي تم تطوير مجموعة كبيرة من الأبحاث حول إدراك الناس لبيئتهم العمرانية من خلال العمل على الرمزية والمعني لتعزيز الصور المبنية، والعمل على " الإحساس بالمكان Sense Of Place " والخبرات المرتبطة بتجربة البيئة العمرانية، حيث استكشاف كيف يدرك الناس البيئات وكيف يجربون الأماكن [8].

وينطوي " الإدراك Perception " على تجميع وتنظيم المعلومات عن البيئة وصنع معنى لها، ويتم التمييز بشكل عام بين عمليتين تقومان بتجميع وتفسير المؤثرات البيئية وهما " الإدراك Perception"، و" الإحساس Sensation "، حيث أنها عمليات غير منفصلة، فليس من الواضح أين ينتهي الإحساس وأين يبدأ الإدراك، فالإحساس يشير إلى أنظمة التفاعل الحسي للإنسان (الإبصار واللمس والشم والصوت) مع المؤثرات البيئية، وتعتبر هذه المؤثرات الحسية الأربعة وحدة واحدة يغذي كل منها الآخر ولا يمكن فصلها إلا عمداً [8].

ويمكن اعتبار البيئة كبناء ذهني " صورة بيئية Environmental Image " وهي تنشأ وتقيم بشكل مختلف من شخص لآخر، فالصور الذهنية هي نتيجة لعمليات تصفية للعديد من المؤثرات البيئية من خلال القيم والخبرات الذاتية للمراقب، ويرى " Lynch " أن الصور البيئية هي نتيجة لعملية ذات اتجاهين تتمثل في البيئة التي افترضت الاختلافات والعلاقات، والمراقبين الذين اختاروا ورتبوا وأعطوا المعني لما شاهدوه، وعلى الرغم من وجود اختلافات بين الأفراد والجماعات في الخصائص الاجتماعية والثقافية إلا أن هناك تشابهات في التنشئة الاجتماعية والخبرات السابقة، والبيئة الحضرية الحالية تعني أنه سيتم عقد جوانب معينة من الصور المشتركة بين جماعات من الناس، فالخرائط والصور الذهنية للأماكن وبوجه خاص الصور المشتركة هي محور الدراسات البيئية للإدراك في التصميم العمراني[8].

ويذكر " Lynch " أن كل مواطن لديه ارتباط قوى مع بعض أجزاء مدينة وهو ما يشكل لديه صوره ذهنية عن منطقته أو مدينته يتم استدعائها في إطار المعاني والذكريات التي تم اكتسابها عبر تجربته[17].

ويرى " Lynch " أن الصور البيئية القابلة للتطبيق تتطلب ثلاث سمات وهي " الهوية Identity " - حيث يكون للعنصر كيان مميز له عن غيره، والمعني Meaning - بحيث يكون للعنصر معني وظيفي وعاطفي لمراقبه، والتكوين Structure -حيث يتميز العنصر بعلاقة مكانية مميزة مع محيطه، ويحدد لينش خمسة عناصر مادية تتكون من مجموعها الصورة الذهنية للمدينة وهي المسارات Paths، والحدود Edges، والعقد Nodes، والأحياء Districts، والعلامات المميزة Landmarks [17].

وبالتالي يعد البعد الحسي في غاية الأهمية بالنسبة لعملية التصميم العمراني في إطار علاقته بالبعد التشكيلي وما يترتب على ذلك من إنتاج بيئات عمرانية مقروءة، وهو ما يؤثر بالأخير في إحساس الناس بالمكان وهويته وبالتالي الارتباط به والانتماء والتماهي معه أو العكس.

4.3.3. البعد الاجتماعي

يؤكد (Matthew Carmona, et al.) على أهمية وضرورة اعتبار البعد الاجتماعي في عملية التصميم العمراني، فمن الصعب تصور الفراغ بدون مضمون اجتماعي، كما أنه لا يمكن تصور مجتمع ما بدون بيئته المكانية، فالتصور الأفضل للعلاقة فيما بين الفراغ والمجتمع كعملية مستمرة ذات اتجاهين ، تلك التي يقوم فيها الناس بخلق وتعديل الفراغات في حين أن هؤلاء الناس يتأثرون بهذه الفراغات بطرق مختلفة، فمن خلال تشكيل البيئة المبنية يؤثر المصممين العمرانيين : يمنعون ويسهلون، ينتجون ويعدلون، ولكنهم لا يحدون من أنماط النشاط البشري وبالتالي لا يحدون من الحياة الاجتماعية [9].

ويرى كلا من (Wolch and Dear) أن العلاقات الاجتماعية يمكن أن تتكون من خلال الفراغ (حيث أن خصائص الموقع تؤثر على تشكيل المجتمعات العمرانية)، أو أن تقيد بالفراغ - حيث أن البيئة العمرانية تسهل أو تعوق النشاط الإنساني، أو أن تُستحث من خلاله - حيث أن " الاحتكاك من مسافة " قد يسهل أو يعوق تطور أنشطة وسلوكيات اجتماعية متنوعة [28].

ويرى " Jan Gehl " أن نوعية وجودة الأماكن العامة تؤثر على كثافة وشدة استخدامها، وحجته أنه يمكن تقسيم الأنشطة إلى ثلاثة فئات وهي: أنشطة ضرورية أو وظيفية - مثل القيام برحلة من المنزل إلى العمل أو الخدمات الأساسية، وأنشطة اختيارية أو ترفيهية - مثل اللعب والترويح، وأنشطة اجتماعية - وهي محصلة الأنشطة الضرورية والترفيهية، تلك التي ينتج عنها التفاعل وإقامة العلاقات الاجتماعية، فمن خلال التصميم وضمن حدود معينة " إقليمية ومناخية ومجتمعية " يمكن التأثير في كيفية استخدام العديد من الناس للأماكن العامة وكيفية استمرار الأنشطة الفردية وما هي أنواع الأنشطة التي يمكن أن تتطور، حيث تحفز جودة المجال العام وقوع هذه الأنشطة الترفيهية والاجتماعية، بعكس ما إذا كانت نوعية الأماكن ذات مستوى ردئ، وبالتالي يكون احتمال وقوع الأنشطة الضرورية فقط [9].

وترى " Jacobs " أن المجال العام Public Realm الناجح والحيوي هو الذي يجذب الناس لممارسة الأنشطة المتنوعة في أوقات مختلفة على مدار اليوم، وأن ذلك يحدث كنتيجة لكون الفراغات العامة تلبي احتياجات الناس في إطار دعم أنشطة الاستخدام المختلط Mixed Use Activities [6].

وما يجب التأكيد عليه هو أن نتيجة تأثير تنظيم البيئة على السلوك هي ليست حتمية مطلقة وإنما هي نسبية لأنها تعتمد على المستخدمين بشكل أساسي، وتعتمد درجة تأثيرها على مدي موائمتها واحترامها لخصائصهم الاجتماعية والثقافية وتلبية احتياجاتهم وتطلعاتهم.

5.3.3. البعد البصري

يقول "Cullen" أن الهدف الأساسي للمعالجة البصرية لعناصر المدينة هو تحقيق تأثيرها على العواطف، وأن ما يحفز العقل البشري على التفاعل هو التباين بين الأشياء والتنوع الحيوي الذي يتم إدراكه بوضوح ويجعل المدينة مرئية بشعور أعمق، فالمدينة تأتي على قيد الحياة من خلال " دراما التجاور Drama of Juxtaposition " ، التي ينتجها " فن العلاقة Art of Relationship " الذي يقوم على تجميع عناصر البيئة ونسجها معاً في إطار علاقة ارتباط فيما بينها تضمن وجود مثل هذه الحالة الدرامية، كما أن هناك أهمية خاصة للشعور بالوجود " هنا وهناك Here and There "، فالمراقب الموجود في مكان قد يكون لديه بالإضافة إلى شعوره بالوجود هنا أيضاً شعور قوي لأماكن أخرى من حوله (الشعور بالوجود هناك)، فبالإضافة للمشهد للحالي هناك أيضاً تلميحات لمشاهد مختلفة تتكشف للعيان[11].

ويرى "Cullen" أن البيئة العمرانية يجب أن تصمم وفقاً لرؤية الشخص المتحرك، بحيث تصبح تجربة مرنة، أو رحلة عبر الضغوط والفراغات، التعرض والاحتواء، التقييد والحرية، المعاناة والراحة، كما ربط بين سرعة الحركة وتصميم المدينة، فالبيئات التي تُرى فقط من قبل قائدي المركبات يجب أن تصمم بما يناسب سرعة الحركة الآلية، وأما البيئات التي تُرى من قبل ركاب المركبات والمشاة فيجب تصميمها بما يناسب المشاة لأنهم الأكثر إدراكاً واهتماماً والقدرة على المشاركة فيها، كما أن جودة العلاقة بين العناصر وتقديم خبرات بصرية ثرية على طول مسار يؤثر على الشعور بطول زمن الرحلة، فكلما زادت الخبرات وتنوعت بدت الرحلة قصيرة ولكنها في استرجاع الذكريات طويلة والعكس [11].

وبالتالي فمشاهد المدينة غالباً ما تتكشف في شكل تتابعي من المفاجآت والمتباينات، وهو ما دعاه " كولن Cullen " بالمتتابعة البصرية Serial Vision، فالمدينة الناجحة بصرياً هي التي تملك نسيج ديناميكي ثري بصرياً يستدعي شعور الفضول ويشجع الناس لمزيد من الاستكشاف (حيث الإبقاء على استمرارية الحركة وثراء التجربة).

6.3.3. البعد الزمني

منذ تطوير النظريات النسبية لـ " ألبرت اينشتاين Albert Einstein " الذي أدرج مفهوم " زمن-فراغ Space-time " في نظريته النسبية الخاصة، حيث أن لكل كائن طول وعرض وارتفاع ومدة من الزمن، وادعي خلافا لنظرية " نيوتن "، أن الفصل بين المكان والزمان بصورة مطلقة هو غير ممكن، ولكن نسبة إلى الاختيار بين نظام الإحداثيات " إن الكون من أربعة أبعاد يشمل الفضاء مع كل الأحداث والأشياء، وكذلك الوقت مع التغيرات والحركات" [19].

وبالتوازي مع رؤية " Albert Einstein " كان هناك انعكاس علي مفهوم الكتلة والفراغ في العمارة والعمران، حيث تم إدراج البعد الرابع بالإضافة للأبعاد الثلاثة " الطول، العرض، الارتفاع " وهو بُعد " الزمن Time "، حيث تصبح الفراغات مع مرور الوقت ومعايشة الأنشطة فيها أماكن ذات معنى من خلال عمر زمني يضمن تراكم وعمق الخبرات فيها [8].

وينطوي البعد الزمني على ثلاثة جوانب أساسية وهي: دورة الزمن (الساعات والأيام والشهور والسنوات)، الاستمرارية (عملية مستمرة خطية – تقدم لا رجعة فيه)، والتغير (ويفضل التغيير التدريجي وليس الشامل والكامل) [8].

4. نتائج البحث

وكنتاج لمراجعة الأدبيات Literature Reviews والتحليل النظري السابق يمكن التوصل إلى أن بناء هوية المكان يتطلب منهجاً أصيلاً ومتكاملاً في عملية التصميم العمراني، يراعي المكونات المادية للمكان التي تتمثل في البيئة الطبيعية وخصائصها والبيئة المبنية وخصائصها المميزة، كما يراعي المكونات اللامادية المتمثلة في المعاني والأنشطة والتي تأتي كانعكاس للبيئة الثقافية لمجتمع المكان، وهو ما يتحقق في الطرح السابق للأبعاد الستة لعملية التصميم العمراني مع التأكيد على أن هذه الأبعاد تعمل بشكل متزامن وفي إطار

من التكامل والتأثير المتبادل، ولقد توصل البحث إلى صياغة منهج عام وشامل **(ثنائية المُدخل والمُخرج لعملية التصميم العمراني)** في ضوء الطرح السابق بما يدعم بناء هوية المكان عبر عملية التصميم العمراني وأبعادها (شكل 6)، كما تمكن البحث من صياغة الركائز النظرية له كالتالي:

1.4. ماهية الهوية العمرانية وعناصرها الأساسية

توصل البحث إلى مفهوم المكان : كمركب من مكونات مادية تتمثل في الإعدادات المادية الطبيعية والمصنوعة ، ومكونات لامادية تتمثل في الأنشطة والقيم والمعاني الرمزية المرتبطة بمجتمع المكان، في إطار عمليةٍ تفاعلية ديناميكية مع مستخدميه وهو ما ينمي شعور بالانتماء لهذا المكان لديهم وبالتالي الشعور بهويته"، ويعد هذا المفهوم هو الركيزة الأساسية للهوية العمرانية أو هوية المكان، وبالتالي توصل البحث إلى مفهوم الهوية العمرانية على أنها:

" نتاج توليف ودمج مجموعة من الهويات الذاتية المتمثلة في هوية العناصر المادية الطبيعية والمصنوعة المشكلة للمكان، وهوية العناصر اللامادية الثقافية التي ينتمي إليها المكان ومستخدميه، وهوية الأحداث والأنشطة، تلك التي يتم دمجها ذاتياً في إطارٍ تفاعليٍ تبادلي متزامن لتشكيل هوية المكان المميزة له عن غيره من الأماكن".

كما توصل البحث إلى أن مكونات الهوية العمرانية "هوية المكان" تتمثل في:

- **الإعدادات المادية:** وهي تشمل عناصر البيئة الطبيعية المتمثلة الخصائص الطبوغرافية والمناخية، وطبيعة التربة، والمسطحات المائية، والثروات والموارد الطبيعية، والنباتات والحيوانات البرية، بما يحقق استدامة النظم الإيكولوجية والحفاظ على ملامحها المميزة وتعظيم العائد منها، فالخصائص الطبيعية غالباً ما تنطوي على جوهر المكان وروحه المميزة، كما أنها موجه أساسي لعملية التصميم العمراني والمعماري وعنصر فاعل في توجيه القرارات التصميمية لهذه العملية.

كما تشمل الإعدادات المادية عناصر البيئة المبنية المتمثلة في علاقة الهيكل الحضري بمحيطه الطبيعي والمبني، ونمط النسيج العمراني، وشبكات الحركة والاتصال، والتشكيل المميز للفراغات العامة، وتشكيل البلوكات الحضرية وتشكيل قطع التنمية والبناء بها وعناصرها التصميمية، وسمات الطابع المعماري للمباني المحددة للفراغات العامة، وعناصر تنسيق الموقع ومواد البناء والفرش الداخلي، ويعد النتاج البنائي المحلي المميز بمثابة سجل مرئي ملموس لثقافة مجتمع المكان، فهو يعكس رؤية المجتمع المحلي وكيفية إدراكه لعالمه المحيط وكيفية تعامله ومعالجته للبيئة الطبيعية وعناصرها بما يلبي احتياجاته ومتطلباته، وبالتالي وجب على المصمم دراسة وتحليل هذا النتاج المبني لاستقراء حالة مجتمعه الثقافية وتفضيلاته المبنية .

- **المعاني والقيم الضمنية والرموز الثقافية:** وهي الكامنة في الخصائص اللامادية للمجتمع المحلي المتمثلة عناصر البيئة الثقافية التي تتمثل في اللغة، والعقيدة، والعادات والتقاليد والعُرف التي تشكل في مجموعها القيم، والقوانين والتشريعات، والحرف والفنون المميزة للمجتمع المحلي، بالإضافة إلى عناصر البيئة الاجتماعية المتمثلة في طبيعة تركيب الأسرة، وفئات السن، والمهن السائدة وفرص العمل، ومستويات الدخل والإنفاق والادخار والرفاهية، ... الخ، تلك العناصر التي تشكل في مجموعها خصوصية الاحتياجات والمتطلبات، وتنبع منها خصوصية المعاني والرموز والتفضيلات الثقافية للمجتمع المحلي.
- **الأنشطة والأحداث:** وهي ضرورية أو وظيفية، واختيارية أو ترفيهية، ومحصلتهما الأنشطة الاجتماعية، تلك التي تأتي كانعكاس للتفضيلات الثقافية لمجتمع المكان، في حين تلبي الإعدادات المادية للمكان إمكانية وقوعها أو حدوثها.
- **روح المكان:** وهي نتاج انصهار المكونات الثلاث السابقة ونتاج التفاعل وعلاقة التأثير والتأثر فيما بينها، تلك التي تبقي برغم إدراج التغييرات الواعية لمواكبة المستجدات عبر مسيرة الزمن، فروح المكان تعبر عن الاستمرارية الحضارية.

2.4. ماهية التصميم العمراني ودوره في بناء هوية المكان

كما توصل البحث إلى **صياغة مفهوم التصميم العمراني** بأنه " مجال واسع من علوم العمران معنيٌ بتشكيل وإدارة البيئة العمرانية، مع التأكيد على ارتباط عملية التصميم العمراني ومنتجها بالمجتمع وخصائصه المادية واللامادية وموروثه الثقافي والحضاري - الإنسان والبيئة وخصائصهما كعوامل حاكمة

لتمايز النتاج البنائي- وهو ما ينعكس في صورة الإحساس بهوية المكان، من خلال عملية " صنع المكان " المنوط بها التصميم العمراني والتي تعتبر هدفه الأساسي.

وبالتالي فالتصميم العمراني له الدور الأساسي والفاعل في بناء الهوية العمرانية للنتاج البنائي، عبر تحقيق جودة المجال العام، بما يلبي احتياجات وتطلعات المجتمع المحلي، ويُقدم خبرات بصرية ثرية، ويُتيح وقوع الأنشطة والأحداث التي تلبي احتياجات الناس، عبر تشكيل متماسك وواضح يسهل إدراكه، وينطوي على المعاني والرموز والتفضيلات الثقافية المميزة لمجتمع المكان.

ويقترح البحث في ضوء المنهجية المقترحة تضمين عملية التصميم العمراني مُدخلات ثنائية من الأبعاد المادية واللامادية، حيث يمثل البُعد التشكيلي البُعد المادي لعملية التصميم العمراني بينما يمثل البُعد الوظيفي والحسي والاجتماعي والبصري والزمني أبعاداً لامادية تعمل كمغذيات للبعد التشكيلي، ومن ناحيةٍ أخرى، فإن مخرج عملية التصميم العمراني الذي يجسده البعد التشكيلي يأتي تجسيداً مادياً لهذه الأبعاد، حيث ثنائية المُخرج من المادي واللامادي، وهو ما ينتج عمراناً يتصف بالهوية المميزة والانتماء لسياقه المحلي، وبالتالي يقترح البحث مجموعة من الأسس والمعايير لعملية التشكيل العمراني بما يدعم بناء هوية المكان واستدامتها، وهي كالتالي:

- **التشكيل المدمج والعلاقة الإيجابية للهيكل العمراني بمحيطة الطبيعي والمبني:** بما يحقق الربط والتكامل المفهوم في إطار تكويني متماسك (أحياء – حدود - مسارات- عقد - علامات مميزة) بين أجزاء ومكونات المدينة وبينها وبين محيطها الطبيعي والمصنوع (الإقليم)، والحفاظ على المناظر الطبيعية وذات القيمة، واستدامة النظم الإيكولوجية وتعظيم الاستفادة منها، واحترام الخصائص الطبوغرافية والتكيف معها والاستفادة منها في إبراز السمات والعلامات المميزة للمكان.
- **تبني نمط الشارع (Street Pattern) وتشكيل فراغات عامة إيجابية:** بما يحقق التحديد الجيد للشوارع والفراغات العامة بالمباني (استمرارية خط البناء على حدود الشارع) لإنتاج فراغات إيجابية والتمييز بين المجال العام والخاص، ويوفر شبكة متصلة ذات تدرج هرمي واضح ومترابط من فراغات الحركة والفراغات العامة والخضراء، مع خليط من حيبية (بلوكات) ناعمة ومتوسطة توفر قدر جيد من النفانية المادية وقدر أقل من النفانية البصرية (لتحقيق الانغلاق البصري وقدر من الاحتواء) وإمكانية الوصول.
- **خلق شبكة فراغات عامة حيوية :** وذلك من خلال ربط أماكن التسوق والمباني العامة والخدمات بالفراغات العامة وأماكن التجمع (كالميادين) بما يجعلها واضحة ويسهل الوصول إليها، وتوليد فراغات اجتماعية على طول المسارات الحيوية في إطار تتابعي لتكوين سلسلة مترابطة ومتصلة من الفراغات النشطة، وإبراز المعالم التذكارية وذات القيمة الجمعية من خلال دمجها في شبكة الحركة، والدمج بين خليط متنوع من الاستخدامات المتجانسة لخلق بؤر نشطة ذات معاملات كثيفة في مناطق المدينة لبعث الحيوية فيها.
- **خلق شبكة من المناطق والفراغات الخضراء:** بحيث تكون شبكة ذات تدرج هرمي واضح على مستوى المدينة وأجزائها لربط البيئة المبنية بالطبيعية واستدامة النظم الإيكولوجية داخل البيئة المبنية.
- **الاهتمام بالكتل المبنية ومقياسها ونسبها وعلاقتها بالفراغ:** حيث يتم ربط ارتفاع الكتلة بعرض ونسب الفراغ المطلة عليه لتحقيق اعتبارات التشميس والتهوية الطبيعية ومعايير الإدراك البصري، وتقسيم قطع البناء بمساحات صغيرة (نسبياً) ومتنوعة وذات واجهات ضيقة (نسبياً) بما يشجع وجود تنوع من الأشكال والاستخدامات والحيازات وتوليد واجهات أكثر نشاطاً لمسارات ذات مقياس إنساني وحبيبية ناعمة مع إمكانية تحقيق كثافات أعلى، خاصةً في المناطق المركزية لدعم حيويتها، وأن يكون المدخل الرئيسي للمبنى من الشارع الرئيسي، كما أن وجود الشرفات والنوافذ يتيح الاتصال البصري والشعور بالأمان خاصةً في الدور الأرضي ، مع مراعاة توفير الخصوصية للأنشطة الداخلية باستخدام الامتدادات الأفقية أو التغيير في المستوى الرأسي ، ويفضل شغل الدور الأرضي بأنشطة تتعلق بالمشاة لدعم حيوية الشارع.
- **ثراء الطابع المعماري للمباني (حوائط الفراغ) وانتمائه لسياقه المحلي:** تبني الطابع المعماري المحلي- حيث استخدام الطرز المعمارية والألوان ومواد البناء المحلية الملائمة للبيئة، واستخدام الحرف والفنون المميزة

للمجتمع المحلي، في إطار وجود إيقاع في تصميم الواجهات وقدر من كثافة التفاصيل (الموازنة بين البساطة والتعقيد) بما يثري الفراغات العامة بصرياً مع التأكيد على مبدأ التنوع في إطار وحدة الطابع.

- **تنمية أنماط متنوعة من فراغات الحركة** : بحيث يتم تحقيق ذلك في إطار تكاملي وليس الفصل التام (مشاة – دراجات – نقل عام – سيارات)، مع الحد من استخدام السيارات الخاصة، من خلال تشجيع المشاة ووسائل النقل العام المستدامة وربط أماكن الخدمات بأماكن السكن في حدود مسافة مشي ملائمة (10 دقائق) وبالتالي الحد من استهلاك الطاقة والانبعاثات الملوثة.
- **الاهتمام بعملية تنسيق الفراغات العامة والمفتوحة وعناصرها**: الطبيعي منها (أشجار- شجيرات – أغطية نباتية ومتسلقات) والمصنوع (الرصف – الإضاءة – المقاعد – المظلات – العناصر المائية وتجهيزاتها – الأعمال الفنية - واللوحات الإرشادية - اللافتات - صناديق القمامة - تخطيط أماكن الانتظار- ..)، والعمل عبر عملية التنسيق على كفايتها وكفاءتها الوظيفية بما يلبي احتياجات المستخدمين والملائمة المناخية، والمزج الواعي بين الطبيعي والمصنوع مع التأكيد على دعم التنوع في إطار وحدة الطابع المعماري المحلي لها، وربط الفراغ بالمباني المحددة له من خلال عملية تنسيق الموقع.
- **التنمية والتغيير التدريجي ومعالجة آثار التقادم :** وهو ما يتطلب أن تكون عملية التشكيل مفتوحة النهاية حيث التنمية والتغيير التدريجي والمستمر باستمرار عجلة الزمن لمواكبة المستجدات والاحتياجات المستقبلية ومعالجة التقادم الناتج عن مسيرة الزمن، فضلاً عن مواكبة وتطويع التكنولوجيا ومخرجاتها بما يخدم استدامة وإبراز السمات المميزة لهوية المكان، وهو ما يضمن الاستمرارية الحضارية للمدينة وارتباط الأصالة بالمعاصرة والحفاظ على روح المكان وهويته عبر مسيرة الزمن.

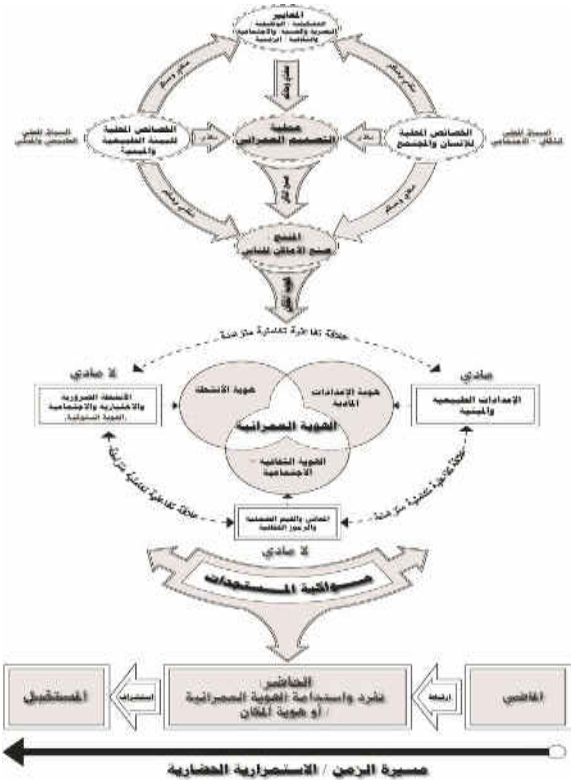

شكل (6): " المنهجية المقترحة لعملية التصميم العمراني (ثنائية المُدخل والمُخرج من المادي واللامادي والطبيعي والمصنوع) "
" الهوية هي صفة أساسية لمنتج التصميم العمراني ومعيار كفاءته ودالة الارتباط بينه وبين المستخدم (المجتمع) ، كما أنها ضمانة بقائه واستمراريته ". (المصدر- الباحث)

المراجع

[1] أكبر، جميل عبد القادر ، (1995) ، " آليات الإبداع في العمارة الإسلامية " ، ندوة إشكالية العمارة والتطبيق في العمارة الإسلامية ، جمعية المهندسين البحرينية ، البحرين.

[2] حسين، عاهد صبحي ، (2006) ، " التواصل بين العمارة والذاكرة الجمعية : مدخل لترسيخ بنية ذاكرة المكان عبر تفعيل هوية العمران - الواقع العمراني الفلسطيني المعاصر"، رسالة دكتوراه ، قسم العمارة، كلية الهندسة، جامعة القاهرة.

[3] عبد القادر، نسمات - التوني، سيد ، (1997) ، " إشكالية النسيج والطابع " ، دار العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة.

[4] Abada, Galal, (2004),"Heterogeneity within Homogeneity: Fragmentation and the Possible Re-Coherence of Traditional Urban Forms in Cairo", GBER, Vol. 4, No. 1, pp 3 – 14.

[5] Alexander, Christopher, (1979), "The Timeless Way of Buildings", Oxford University Press.

[6] Biddulph, Mike, (2007), "Introduction to Residential layout", Elsevier Limited, Oxford, UK.

[7] Buchanan, Peter, (1988)," Facing up to facades", Architects journal, 188, 2 1 -56.

[8] Carmona, Matthew et al., (2003), " Public Places- Urban Spaces: The Dimensions of Urban Design ", Architectural Press, Oxford, UK.

[9] Carmona, Matthew and Steve, Tiesdell, (2007), "Urban Design Reader", First edition, Architectural Press, Oxford, UK.

[10] Carr, Stephen et al., (1992), "Public Space ", Cambridge University Press, Cambridge.

[11] Cullen, Gordon, (1971), "The Concise Townscape", the Architectural Press, Biddles Ltd, Guildford, Surrey.

[12] Davies, Llewelyn, (2007), "Urban Design Compendium", second edition published by English Partnerships, London.

[13] Frey, Hildebrand, (1999),"Designing the City: Towards a more sustainable urban form", E & FN Spon.

[14] Hall, Kennth B. et al., (2001), " Community by Design: New urbanism for suburbs and small communities ", McGraw- Hill Companies, Inc.

[15] Hauge, Ashild Lappegard, (2007), " Identity and place: a critical comparison of three identity theories." Architectural Science Review, http://www.highbeam.com.

[16] Hillier, Bell, (1996), Space is the Machine, Cambridge University Press, Cambridge.

[17] Lynch, Kevin, (1960), "The Image of the City ", MIT Press, USA.

[18] Lynch, Kevin, (1981), "A Theory of Good City Form" , MIT Press, USA.

[19] Madanipour, Ali, (1996), " Design of Urban Space: An Inquiry into A Socio-Spatial Process", John Wiley& Sons.

[20] Moor, Malcolm and Rowland, Jon, (2006), "Urban Design Futures", This edition published in the Taylor & Francis e-Library.

[21] O'Rourke, Juliana, (2010), " Place Making: celebrating quality and innovation in urban life", third edition published annually by RUDI Ltd (Resource for Urban Design Information).

[22] Poerbo, Heru, (2001), "Urban Design Guidelines AS Design Control Instrument ", PH. D., the department of regional and environmental planning, the University of Kaiserslautern.

[23] Roberts, Marion and Greed, Clara, (2001), " Approaching Urban Design: The Design Process ", Pearson Education Limited, England.

[24] Salama, Ashraf Mohamed, (1998), " Human Factors in Environment Design : An Introductory Approach to Architecture" , The Anglo Egyptian Bookshop, Cairo, Egypt.

[25] Sime, Jonathan D., (1995), creating places or designing spaces? In L. Groat (Ed.) Giving Places Meaning. Readings in Environmental Psychology, Vol 4. London: Academic Press, pp.27-41

[26] Thomas, Derek, (2002), " Architecture and Urban Environment: A vision for New Age", The Architectural Press, Cape Town.

[27] Watson, Georgia Butina and Bentley, Ian (2007), "Identity by design", published by Elsevier Ltd, Printed and bound in Italy.

[28] Wolch, Jennifer and Dear, Michael (1989), " The Power of Geography: How territory shapes social life", Unwin Hyman, Boston.

"URBAN DESIGN AND ITS ROLE IN CONSTRUCTION OF PLACE IDENTITY: TOWARDS A METHODOLOGY FOR THE PROCESS OF URBAN DESIGN SUPPORTS MAKING AND THE FUTURE OF PLACE IDENTITY"

Ahmed Abu El-Soud Hassan

Ass. Lecturer of Architecture – Faculty of Engineering, Sohag University

PH. D. Student in Urban Planning Department, Faculty of Engineering, Al-Azhar University.

ABSTRACT

Recently, the Issue of absent Identity in our contemporary Urbanization has occupied great importance particularly in the fields of architecture and urban design, since urbanization outcome of the contemporary cities lacks characteristics that provide it with its unique urban identity or place identity, that emerges from the natural, built and cultural characteristics of the local community. Urbanization being a reflection for the local community characteristics is the correlation and belonging function between the community and the city and thus be the place, elsewhere, separation and alienation occur between the community and the city and thus be Placelessness, which necessitates the work in this research to reach an integrative design approach in the field of urban design that supports giving the urbanization outcome unique place identity, since urban design carries the first and last responsibility of place making process.

The research aims at determining the concept of place identity and its basic elements, in addition to the concept of urban design, the dimensions of urban design process and its role in construction of place identity, to reach an integrated approach in urban design that ensures the emerge of an urban product characterized by belonging to the environment where it is constructed and also respects the community spatial characteristics and its cultural attitudes supporting the future of place identity.

This study reached the effectiveness of the urban design in forming the urban identity for the city and giving it distinguishing , uniqueness and civilized continuity or giving it nonidentity , disappearance and death , frequently the study managed to formation an overall approach for the urban design process which confirms the duality of the inputs of the concrete (the built features and natural features of the environment) abstract (social cultural features of the environment) to reflex dual outputs concrete (urban environment belonging to its built natural context) abstract (urban environment belonging to its social cultural context – meets the needs and hopes its society sooner or later) it is what supports structure of the place identity and its civilized continuity at light of its ability to keep up the technological scientific development sooner or later.

Keywords: Urban Design, Place Identity, Place Making, Placelessness.